الفصل السابع
الشيخ أحمد عيسى عاشور (*)
الداعية المبارك والإعلامى الرائد

● لقد قيض الله تبارك وتعالى لدينه الحق رجاله المؤمنين الصادقين وجنوده المخلصين الذين أحبهم الله وأحبوه وحبب إليهم فعل الخيرات والاشتغال بمعالى الأمور والتعلق بقيم الحق والحب والحرية والتطلع إلى المثل العلا وحب الصالحين وزين لهم الطاعات وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان فاستقامت حياتهم على سنن الحق وجاهدوا فى الله حق جهاده، فأعز بهم دينه وشريعته ونهج المصطفين الأخيار.

● ومن تلكم الصفوة المختارة سماحة الداعية المبارك والإعلامى الإسلامى الرائد الشيخ أحمد عيسى عاشور - رحمه الله تعالى وأنزله منزلا مباركًا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُنَ أولئك رفيقًا - وهو الرجل الذى صنعه الله على عينه وقد مدَّ فى عمره وبارك فى جهاده ونفع بعلمه وهدى به خلقًا كثيرًا ورفع به لواء الدعوة الإسلامية خفاقا فى مشارق الأرض ومغاربها وبارك فى ذريته فجندهم جميعًا للذود عن حياض الإسلام وسخرهم لإذاعة الكلمة الطيبة ونشر الثقافة الإسلامية الحقة والوعى الإسلامى الرشيد حتى تبوأ شيخنا - رحمه الله - وأبناؤه من بعده مكان الصدارة فى خدمة الدعوة الإسلامية والأدب والإعلام الإسلاميين فكانوا - بحق - من أولئك النفر المرابطين على ثغور الإسلام ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين والذين باتت معاركهم مع الردة الحضارية التى يقودها معاندون مكابرون والمغرر بهم من المحسوبين على ديننا وأوطاننا، باتت معركتهم تلك واقعة لا محالة تعانى الأمة شظاها وأوزارها ولظاها.

(*) صحيفة (البلاد) السعودية الغراء يوم الخميس (٥ من جمادى الأولى ١٤١٩ هـ - ٢٧ - ٨ - ١٩٩٨م).

● وفيما كنتُ فى المرحلة الثانوية أتجه إلى القراءة الحرة والبحث الإسلامى، لفتنى فيما يصدر من الصحف والمجلات مجلة (الاعتصام) التى نبَّهنى بعض زملائى إلى تميُّزها ونهجها الإسلامى السديد، فطالعت بعض أعدادها فاستهوانى فيها جُرأتها فى الحق وتنزهها عن النفاق والتزلف لذوى الحظوة والنفوذ ودفعها عن الإسلام الرشيد والتوحيد الخالص، وبرغم تواضع إمكاناتها المادية التى انعكست على طبعاتها أوراقًا وإخراجًا فى ذلك الحين من أواسط السبعينات الميلادية إلا أنها تبوأت فى نفوس طلاب العلم الحالين بمجتمع الفضيلة وشريعة القرآن مكانًا عليا، فحرصتُ - كما حرص كثير من الشباب - على متابعة أعدادها وتلقف ما تصدره (دار الاعتصام) من رسائل وكتيبات للتوعية الإسلامية الرشيدة وتصحيح العقائد والعبادات والزود عن الدين الحنيف والدعوة إلى تحكيم شرع الله والالتزام بهدى القرآن الكريم وسنة النبى المصطفى ﷺ، مما كان له أطيب الأثر فى البناء المعرفى والوجدانى للناشئة والشباب والطلاب، الأمر الذى انعكس خيراً وبركة على الصحوة الإسلامية المباركة فى مصر بخاصة وبلاد العرب والمسلمين بعامة.

● ومع رحلتى المبكرة مع البحث وصداقة القلم توفر لى شئ من البحوث الإسلامية المبكرة تاقت النفس لعرض واحد منها على (دار الاعتصام) والظفر بلقاء القائمين عليها، وكنت حينذاك فتى طلعة يسعى لاكتشاف عالم الأضواء فى العاصمة القاهرة، ومن ثم شددت الرحال نحو القاهرة أسأل عن صاحب الاعتصام فى (دار الاعتصام) فى مقرها الكائن فى رقم (٨٠) شارع حسين حجازى فى القاهرة فقيل لى يمكنك أن تقابل الشيخ فى مقر الجمعية الشرعية فى المغربلين وهو من أحياء القاهرة العتيقة، «ولا يا عرفت» المغربلين «بعد توهم» وهنالك قيل لى يمكنك مقابلة صاحب الاعتصام فى منزله العامر بحى المعادى من ضواحى القاهرة، فأممت المعادى حيث كان اللقاء بالشيخ الجليل، ولعل ذلك كان فى صيف ١٩٧٥م.

● ومهما حاول القلم البليغ التعبير عن أثر ذلك اللقاء فى النفس فسوف يكون عاجزاً عن الوفاء عن ذلك الأثر العظيم الذى استقر فى الوجدان جراء ذلك اللقاء العبقرى، حيث لقينى الشيخ الجليل بترحاب نبيل فى بشاشة وجه وطلاقة محيا وأبوة حانية وكرم عربى أصيل شدنى إليه تواضعه الجميل وإقباله على العبادة وعكوفه على البحث والدرس جتى لتستشعر وأنت فى حضرته أنك فى محراب علم وخلوة عابد ومعية عالم عامل من السلف الصالح.

● ولعل كل من التقى بالعالم الداعية الجليل الشيخ أحمد عيسى عاشور استقر فى نفسه ذلك الإحساس، وترك ذلك اللقاء أطيب الأثر فى قلبه ووجدانه، وعَمَّق أواصر القربى الروحية بالسيد الجليل وشيخنا المبارك أحمد عيسى عاشور - عليه رحمة الله - ومن ذلك ما قصه الشيخ محمد المجذوب من انطباعه عن زيارته ولقائه الشيخ المفضال فى منزله العامر فيقول: « ... والزائر لمنزل آل عاشور ليس بحاجة إلى طويل وقت حتى يستشعر بأنه واحد من أهله، فالسمات البارزة هناك هى الأنس والكرم هو ما يطالعك به محيا ذلك الشيخ الوقور، الذى لا أعرف وصفاً أحق من أنه بقية من السلف، الذين من حياتهم نستمد القدوة الحسنة، ونتعلم ما يميز المسلم من فضائل الأخلاق » (ص ٩٥) من كتاب - (علماء ومفكرون عرفتهم) - للشيخ محمد المجذوب - الجزء الثانى - القاهرة ١٩٨٦ م. ويواصل الشيخ المجذوب حديثه عن تلكم المقابلة فيقول: « استمر لقائى هذا الشيخ الصالح طوال الأيام التى أقمتها فى القاهرة ضمن ذلك المنزل، وفى قاعته الحافلة بمئات المجلدات فما أذكر أنى رأيته فى دار الاعتصام أو مكتبتها قط، وما أدرى أهو دأبه أبداً فى لزوم البيت أم كان ذلك عارضاً بسبب انشغاله فى العبادات والمطالعة ». (المصدر السابق ص ٩٥).

● ومن ذلك أيضاً ما رواه لنا صاحب (البريد الإسلامى) ومؤسس (دار تبليغ الإسلام) الداعية المبارك المهندس محمد توفيق بن أحمد سعد -

رحمه الله رحمة واسعة وأكرم نزله فى مستقر رحمته - حيث تلاقيا لأول مرة ربما فى ثلاثينيات هذا القرن فى مكتب بريد العتبة بالقاهرة لقاء الأجساد الذى سبقته أشواق الروح، وحدثنى صاحب (البريد الإسلامى) عن ذلك حديثًا فياضًا بنبيل الأدب والأدب النبيل الذى ينطق بالفضل بين داعيين جليلين من تلكم الكوكبة التى قرَّبها الله إليه وحبَّبَ إليهم الإيمان وجندهم لنصرة دينه والذود عن حياض شرعه الحنيف، وعلى أثر تلك المقابلة دعاه الشيخ أحمد عيسى عاشور لزيارته فى مقر الجمعية الشرعية فى حي المغربلين فى القاهرة، ومن ثم توثقت عرى المحبة بين الشيخين حتى استحالت محبة صافية فى الله على طريق الدين الحق وهدى سيد المرسلين وخير خلق الله أجمعين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين وصحابته الغر المحجلين.

● ومما قصه علينا صاحب (دار تبليغ الإسلام) - رضوان الله عليه - أنه قرأ الاعتصام من ألفها إلى يائها ظاهراً وباطنا فى واحد من أعدادها، ولما فرغ تمامًا من قراءتها، تاقت نفسه إلى رؤية العالم الجليل الشيخ أحمد عيسى عاشور (صاحب الاعتصام) - رحمهما الله رحمة واسعة - ، فسأل أحد أبنائه أن يبرق إلى (صاحب الاعتصام) فى القاهرة يحييه على جهده البعقرى فى تحرير (الاعتصام) ويدعوه إلى زيارته فى مقر (دار تبليغ الإسلام) فى منزله العامر بثغر الإسكندرية الجميل، فإذا برسول (صاحب البريد) يلقى الشيخ أحمد عيسى عاشور وانجاله فى مدخل المنزل، جاءوا لزيارة الداعية المهندس محمد توفيق بكل الشوق والإخلاص، زيارة الحب فى الله على غير مآرب زائلة يتعاطونها، ولذا فهم على نور ويوم القيامة على منابر من نور يغبطهم الأنبياء والشهداء لمكانتهم من الله تعالى فلا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس وضمن حديث المصطفى ﷺ تلا قوله تعالى: ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾[يونس: ٦٢] .

● وليس من شك أن الاقتراب من شخصية الداعية المجاهد الشيخ أحمد عيسى عاشور فى محاولة للتعريف بجوانب التفرد والامتياز فى عطاء شخصيته المباركة أمر يطول ويطول وتضيق به الأبواب والفصول، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله، وتحت هذه الدراسة الوجيزة ندل على نبع فياض من الخير ومَعْلم بارز من معالم الوطنية الإسلامية وصانع من صناع النهضة الإسلامية المعاصرة فى مصر والعالم العربى والإسلامى – والدال على الخير كفاعله – كما ورد فى الحديث الشريف، وحسبنا فى هذا الصدد أن نشير إلى المعالم البارزة فى عطائه الثرى فى المجالات الآتية : –

– دعوته إلى التوحيد الخالص ودفاعه عن السنة النبوية المطهرة.

– مكانته فى ريادة الإعلام الإسلامى المعاصر.

– دوره فى تيسير الفقه والتوعية الدينية.

– جهوده فى بناء المؤسسات الخيرية الفاعلة.

– محاولة لتفسير ذلك العطاء العبقرى لتلك الشخصية.

● وليس من شك أن كل باب من أبواب عطاء الرجل ونشاطه وتفرده يحتاج إلى دراسات متخصصة فى مجال الإعلام الإسلامى والدعوة إلى الله وريادة النشاط الاجتماعى الخيرى والبحثى الفقهى، ولعل الباحثين والقائمين على تلك المجالات فى الدرس الجامعى يلتفتون إليها وينهلون من ثمار شجرة داعيتنا المبارك – رحمه الله – لإثراء دوحة الإعلام والدعوة والجهاد، وليبرزوا جوانب العطاء العبقرى للرجل المبارك مثالا يُحتذى لعبدٍ من عباد الله سار على نهج النبى ﷺ وانطلق من هدى القرآن الكريم يعلى لواء التوحيد ويدعو إلى الخير والوئام والسلام. ولعل دراسة الدكتور خالد محمد نعيم عن فضيلة (الشيخ أحمد عيسى عاشور) كمَعْلَمٍ رائد (من أعلام الدعوة والفكر الإسلامى) تأتى – برغم وجازتها – إضاءة مركزة على جهاد شيخنا الداعية – رحمه الله – فضلاً عن

كلمات تأبين الشيخ بعد رحيله إلى دار البقاء المنشورة فى آخر أعداد (الاعتصام) – ردَّ الله غربتها – (بعد زوال القوانين المقيدة للحريات)، ونأمل أن تعود لتضطلع بدورها فى مواجهة العولمة وفرض ثقافة الكاوبوى وأبناء صهيون، ولتواصل رسالتها صوتًا مصريًا أصيلاً فى إثراء مناخ الوعى الثقافى المتنامى، وسفيرًا للأوطان الإسلامية وكل الناطقين بالعربية فى أرجاء المعمورة، وإرضاء لروح صاحب امتيازها الذى استودعها أمانة فى أعناق أبناء هذا الوطن الكريم والأمة الإسلامية جميعًا.

* * *